مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٩) العدد (١٣) ٢٠٢٥
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (9) No. (13) 2025

تحليلُ الخطابِ في مرثيَّةِ بني عبَّاد لابن اللُّبانة الدَّاني على ضوءِ منهجيةِ ثيون فان دايك

د. أحمد سليمان علي *

(تاريخ الإيداع ١١/١٩ /٢٠٢٥. قُبِل للنشر في ١٢/٢٣ /٢٠٢٥)

□ ملخّص □

يُعالج البحث تمثّلات الخطاب السياسي الاجتماعي في قصيدة **ابن اللُّبانة الداني** في رثاء دولة **بني عبّاد**، مستنداً إلى أطر تحليل الخطاب السوسيو– معرفي وفق منهجية **ثيون فان دايك**، بوصفه مدخلاً يكشف البُنى الأساسة التي تشكّل عبرها الوعي بالحدث التاريخي، في لحظة انهيار سياسي اجتماعي فارقة في تاريخ **الأندلس**، فيحاولُ البحث قراءة القصيدة بوصفها فضاءً تتشابك فيه البنى النصية مع تمثّلات الشاعر الذهنية، ويُعاد فيه بناء صورة السقوط عن طريق لغة محمّلة بالدلالات السياسية، والاجتماعية، فتتداخل مأساة الدولة ومأساة الذات في خطاب يرصد الهشاشة، وانكسار الهُويَّة، وتحوّلات المجال الاجتماعي، ويحاول البحثُ – أيضاً– إيضاح آليَّة عمل النص في مسار إنتاج هذا الوعي، عبر منظومة من الإستراتيجيات التي تكشف طبيعة التوتر بين الذاكرة الجماعية، والفقد، وتُبرز قدرة الخطاب الشعري على مساءلة الواقع، وإعادة تشكيله، في التقاء لافت بين البُعد الجمالي، والبُعد الأيديولوجي، ممَا يقدّم قراءة شعريَّة معرفيَّة لوعي الأندلسيين بمرحلة التحوّل التي شهدوها.

الكلمات المفتاحيّة: تحليل الخطاب، فان دايك، ابن اللُّبانة، بنو عبَّاد، الأندلس.

*حاصل على شهادة دراسات عليا (دكتوراه) - قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة اللاذقية - سورية - عنوان الإقامة: طرطوس، حي الفقاسة، دوار الفندارة.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٩) العدد (١٣) ٢٠٢٥
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (9) No. (13) 2025

Discourse analysis in Ibn al-Lubana al-Dani's elegy for the Banu Abbad, in light of Theon van Dijk's methodology

*** DR. Ahmad Suliman Ali**

□ ABSTRACT□
(Received 19/11 /2025. 23 /12/2025)

This research examines the representations of socio-political discourse in Ibn al-Labbana al-Dani's elegy for the fall of the Banu Abbad dynasty. It employs the framework of socio-cognitive discourse analysis, specifically Theon van Dijk's methodology, as an approach that reveals the deep structures through which awareness of the historical event was formed at a pivotal moment of political collapse in the history of Andalusia. The research begins by reading the poem as a space where the textual structure intertwines with the poet's mental representations, and where the image of the fall is reconstructed through language laden with political and social connotations. The tragedy of the state thus merges with the tragedy of the individual in a discourse that observes the fragility of power, the fragmentation of identity, and the transformations of the social sphere. The research attempts to clarify how the text produces this awareness through a system of strategies that reveal the nature of the tension between collective memory and loss, and highlight the capacity of poetic discourse to question and reshape reality. This is achieved through a striking convergence of the aesthetic and ideological dimensions, offering a poetic and cognitive reading of the Andalusians' consciousness during the harsh period of transformation they witnessed.

Keywords: Discourse analysis, Van Dijk, Ibn al-Labbana, Banu Abbad, Andalusia.

* postgraduate degree (PhD) - Department of Arabic Language - Faculty of Arts and Humanities - Latakia University - Syria - Residence address: Tartous, Al-Faqasa neighborhood, Al-Fandara roundabout.

مقدمة

يُعدّ **تحليل الخطاب** واحداً من التخصصات الحديثة في الدراسات اللغوية والأدبية؛ فقد ظهر في وقت قريب في فرنسا مطلع السّبعينيات من القرن الماضي، وهو يقسِّم النَّص إلى وحدات أساسة وفق منهجيَّة محددة، تهدف إلى بيان وظائف هذه الوحدات، ودورها في النّص، وتحليل الخطاب يتفاوت شكلاً وبناءً، وفقاً لنوع النَّص وطبيعته؛ فالخطاب الدِّيني، مثلاً، يختلف عن الخطاب السِّياسي، والخطاب الأدبي يختلف عن الخطاب العلمي، بيد أنَّ منهجية التَّحليل، أو التَّأويل، أو الشَّرح واحدة، مهما اختلف نوع الخطاب، وسياقه.

يتيح **تحليل الخطاب** مقاربة تهدف إلى الكشف عن البنى الفكرية، والأيديولوجية الكامنة في النصوص، فينطلق من أنَّ الخطاب فعل تواصلي يمارس تأثيره داخل سياقات اجتماعية، وثقافية محددة، ويعكس علاقات القوة والمعنى في المجتمع، ومن هنا برز اهتمام النقاد، والباحثين بقراءة النصوص الأدبية، بوصفها خطابات تعبّر عن مواقف ورؤى وتمثّلات للعالم، ومن أبرز المنظّرين في هذا المجال، **ثيون فان دايك**، الذي أسّس منهجاً لتحليل الخطاب، ينهض على الربط بين البنى النصية، والمعرفية، والاجتماعية، بهدف فهم كيفية إنتاج اللغة المعنى داخل الواقع، وقد شكّلت أطروحاته نقلة في الدراسات اللغوية والاجتماعية؛ إذ جعلت النص موضوعاً لدراسة متعددة المستويات، تجمع بين التحليل اللغوي، والتأويل الأيديولوجي، على ضوء العلاقة الجدلية بين اللغة، والفكر، والمجتمع.

أهمية البحث، وأهدافه

تنبع أهمية البحث من محاولته الجمع بين تحليل الخطاب وفق منهجية **ثيون فان دايك** ذات المسار السوسيو معرفي، و قصيدة أندلسية مهمَّة في التعبير عن أحداث حاسمة شكّلت منعطفاً في تاريخ الأندلس؛ هو سقوط دولة **بني عبّاد**، وما خلّفه من تحولات عميقة في البنية الاجتماعية والثقافية، فيتيح الجمع بين هذين البعدين – النظري والمنهجي من جهة، والتاريخي الأدبي من جهة أخرى – مقاربة تحليلية جديدة تُسهم في الكشف عن مستويات المعنى، وطرائق اشتغال اللغة بوصفها أداة لإعادة بناء الذاكرة، وكيفية صناعة التمثلات الذهنية لدى المتلقي في خطاب **ابن اللبانة الداني**، خصوصاً ما يتعلق بتمثيلات السلطة، والهُويَّة، وصور الانهيار السياسي التي عبّر فيها الشاعر عن توازي الانكسار الشخصي مع انهيار الدولة التي انتمى إليها وجدانيّاً وثقافياً.

يهدف البحث إلى الكشف عن البنى النصية التي اعتمدها **ابن اللُّبانة** في بناء خطابه الرثائي؛ عن طريق تحليل أساليب التوكيد، والربط، والبناء التصويري، وتمثيلات الزمان والمكان، وإستراتيجيات التقابل الثنائي التي تُظهر عمق المأساة السياسية، كذلك تفكيك الآليات المعرفية التي يستند إليها الشاعر في تشكيل النموذج الذهني للحدث التاريخي، وإبراز الأبعاد الاجتماعية والأيديولوجية في الخطاب الرثائي.

الدراسات السابقة

تحيل الدراسة، التي ينحو البحث منحاها، على عدد من المراجع، والدراسات التي سبقت هذا البحث، ويمكن لها أن تسهم في خدمة السياق الدرسي العام، وخطة العمل البحثي، ومنها:

١- حجازي، درية- صالح، هدى محمد، ***تحليل الخطاب الشعري: قصيدة أبي البقاء الرُّندي في رثاء الأندلس (أنموذجاً)***، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج١، ع٥٥، ٢٠١٨م. تتابع الدراسة مشاهد سقوط الأندلس، والصور النابعة منها في القصيدة ضمن سياق القصيدة الاجتماعي، والبناء الفني: الموسيقي، واللغوي، ومظاهر الاتساق النصي، ويؤخذ على هذه الدراسة تجنبها الاعتماد على المجهود الغربي في هذا المجال، وأبرز منظريه، ممَّن كان إسهامهم يفيد في المتابعة التحليلية.

٢- أبو شوشة، فاتنة أحمد، ***تحليل الخطاب الشعري: قصيدة لا تعتذر عمَّا فعلت لمحمود درويش نموذجاً***، مجلة رابطة التربويين الفلسطينيين للآداب والدراسات التربوية والنفسية، مج٤، ع١١، ٢٠٢٤م. تتابع الدراسة الخطاب الشعري عند **محمود درويش**، وقصيدته (لا تعتذر عمَّا فعلت)، عبر التوسُّل بمناهج تحليل الخطاب، في دراسة البنية الكبرى للخطاب؛ مثل الإشارايات الزمانية، والمكانية، والشخصية، والبنيات الإحالية، فتوصلت إلى تشخصها بالأنا، ولمست الاتساق، والانسجام الخطابي في القصيدة، بيد أنَّ ما يؤخذ عليها ضعف الجانب الاجتماعي من المتابعة التحليلية، والتركيز على الارتباط النفسي، وتحولات السجن، والنفي، والفقد لدى الفلسطيني.

٣- رائي، محمد حسن ، ***تحليل الخطاب النقدي لشعر النقائض وفقاً لنظرية فان دايك الاجتماعية المعرفية***، مجلة الجمعية للغة العربية وآدابها، العدد 63، ٢٠٢٢م. حاولت الدراسة مجاراة أسس تحليل الخطاب النقدي في رفع تحليل الخطاب، نظرياً، ومنهجياً، من مستوى وصف النص، إلى مستوى التفسير، والتزمت منهجية فان دايك بهدف تحليل الخطاب نقدياً، واجتماعياً، فكان اختيار نقيضة الفرزدق وجرير أنموذجاً، بهدف متابعة عملية الاستقطاب الشعرية، وعلاقات القوة والأيديولوجيا، وهذا ما يمكن أن يؤخذ على الدراسة؛ إذ كان التركيز على الجانب الأيديولوجي لافتاً.

٤- نصيري، روح الله، ***تحليل الخطاب النقدي بالاستناد على نظريات فان دايك في مراسلات (الشريف حسين) و (السير هنري مكماهون)***، مجلة الكلية الإسلامية، الجامعة الإسلامية، النجف، مج١، ع ٥٨، ٢٠٢٠م. تفرغت الدراسة لمتابعة أبعاد المنتج النصي الأيديولوجية، أكثر من نواحيها النحوية، وقد ركزت على الجانب، نقديًّاً، وهو ما يؤخذ عليها؛ إذ لم يكن تركيز الباحث على المستويات النصية بقدر تركيزه على المستويات السياسية، والبنى الأيديولوجية.

سيحاول هذا البحث أن يزيد على هذه الجهود السابقة أفكاراً متممة، وأن يوازن بين التنظير والتطبيق بهدف توضيح أهمية الجانب الاجتماعي المعرفي في تحليل الخطاب، خصوصاً الخطاب الشعري الأندلسي.

منهجية البحث

يعتمد هذا البحث المنهج الوصفي، انطلاقاً من قدرته على توفير الأدوات اللازمة في متابعة إستراتيجيات تحليل الخطاب، وملاءمته طبيعة القصيدة بوصفها خطاباً يجمع بين الجمالية الشعرية، والحمولة المعرفيَّة الاجتماعية، ممَّا يسمح بقراءة النص، وتحليل الأبعاد الأيديولوجية، والصور الذهنية التي يعيد الشاعر تشكيلها في لحظة تاريخية تتوازى فيها مأساة الدولة مع مأساته الشخصية.

الخطاب (المفهوم والمصطلح)

ورد في **لسان العرب**، في مادة (خ ط ب): ((الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان، والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن))[١].

وعليه، فمعنى (خطب) في اللغة هو توجيه الكلام للآخر، وتعود جذور مصطلح **الخطاب** إلى عنصري اللغة والكلام؛ فاللغة، عموماً، نظام من الرموز يستعملها الفرد للتعبير عن أغراضه، والكلام ((إنجاز لغوي فردي يتوجه به المتكلم إلى شخص آخر يُدعى المخاطب))[٢]، ومن هنا وُلِدَ مصطلح **الخطاب** بعدّه رسالة لغوية يبثها المتكلم إلى المتلقي، فيستقبلها، ويفك رموزها.

ازدهر مفهوم **الخطاب** بقوة بظهور مباحث علم اللسانيات، وما جاء بعدها من تطورات منهجية، ونقدية امتدت لتشمل حقولاً أخرى؛ مثل علم النفس، و علم الاجتماع، وغيرها من العلوم، والمعارف المعاصرة التي جعلت

[١] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة ، ج١٤، مادة خطب، ص٣٥٤.
[٢] دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٨م، ص٧٣.

من **تحليل الخطاب** عموداً أساساً في فهم النصوص، والقضايا، والأفكار المطروحة، وتحليلها، ومناقشتها، وفق ما تمليه حدود التلقي، والتأويل، والتفكيك، والتركيب، وآفاق الحوار والتواصل.

يجد الباحث في الدراسات اللسانية، التي عنيت مؤخراً بتحديد مفهوم **الخطاب**، مفاهيم متعددة قامت على اتجاهات مختلفة، منها:

ـ الخطاب مجموعة من الملفوظات التي تبرهن على موضوع واحد، تأسيساً على مجموعة من المعطيات[١]، هذا المفهوم جعل للخطاب طولاً محدداً يتجاوز الجملة، وركَّز على الوحدات اللغوية التركيبية.

ـ كلُّ تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً، ويهدف فيه الأول إلى التأثير في الثاني بطريقة ما[٢]، هذا المفهوم نظر إلى استعمال اللغة ووظائفها، وإلى أركان الخطاب (المتكلم، المتلقي، الملفوظ).

ـ الخطاب فعالية مشتركة في مبدأ الحوار، باعتبار أن الظاهرة الأساسة في هذه الفعالية هي الحوار [٣]. هذا التصور للخطاب ابتعد عن البنيوية اللغوية، واعتمد كثيراً على اعتبارات أخرى مثل: السياق المصاحب، والمتحاورين وخلفياتهم الثقافية، وغيرها من العناصر التي يشملها أسلوب الحوار.

ـ الخطاب هو الصيغة الطبيعية للكلام الأوسع والشامل؛ بل بإمكانه أن يستقبل كل الأشكال" هذه النظرة للخطاب مبنية على أن كل أشكال الكلام تعد خطاباً [٤] .

تكاد تمثل التصورات المذكورة لمفهوم **الخطاب** كل الاتجاهات التي تناولت الخطاب بالتحليل مثل **الاتجاه اللساني البنيوي، والاتجاه التداولي الاجتماعي، والاتجاه النفسي**، وكلها متداخلة، ومعنية بدراسة الخطاب الذي بات يشكل نقطة التقاء علوم، ومعارف متعدِّدة تهدف إلى **تحليل الخطاب**، يقول **جابر عصفور**: ((فخطاب الخطاب يجمع في نسيجه العلائقي ما يصله بدوائر علوم اللغة والاجتماع والسياسة والفلسفة والتاريخ والأدب ...والدراسات الثقافية والأدبية وغيرها[٥])).

ويتداخل مفهوم **الخطاب** مع مفهوم **النص**، حتَّى إنَّه يصعب، أحياناً، تمييز الحدود الفاصلة بينهما، والملاحظ تباين المعايير؛ مثل: معيار الشكل، أو الوظيفة، أو الخصائص والسمات، أو طريقة التأليف، أو التصنيف إلى أنواع، أو معيار المشافهة والكتابة، وغيرها، ويميل الباحث إلى الأخذ بالرؤى التي تنظر إلى الخصائص التي يتمتع بها كل من **النص والخطاب**، ثم محاولة الدمج بينهما على أساس أن **الخطاب** هو السياق التداولي للنص، والإنتاج اللفظي للنص، وثمرته الملموسة المرئية[٦]، ويمكن إجمال أهم النقاط التي تُبيّن هذه العلاقة بالآتي[٧]:

–النص بوصفه شكلاً لغويّاً: يشمل التراكيب اللغوية (الجملة، الفقرة)، الأسلوب، اختيار المفردات، التشبيهات، التناص، العلاقات بين الجمل مثل الربط والعطف، واستخدام الأدوات اللغوية التي تحقق التماسك والاتساق، ويفيد **تحليل الخطاب** منها لفهم كيف يُبنى المعنى داخل النص.

–النص بوصفه دلالة اجتماعية: النص لا يُولَد في فراغ؛ فالمؤلف– الفاعل لديه خلفيات ثقافية واجتماعية، والمستقبل لديه توقعات، والموقف الكلامي أو الكتابي له شروطه.

---

[١] ينظر: العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، ص٧ .
[٢] ينظر: المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية -بنية الخطاب من الجملة إلى النص، الرباط، ٢٠٠١م، ص٢١.
[٣] ينظر: روبو، أوليفي، لغة التربية – تحليل الخطاب البيداغوجي، تر: عمر أوكان، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٢م، ص٤١.
[٤] ينظر: يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م، ص١٥.
[٥] عصفور، جابر ، خطاب الخطاب، دار مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، دبي، ١٩٩٩م، ص٣٥.
[٦] ينظر: الحميري، عبد الواسع، الخطاب والنص (المفهوم والعلاقة)، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ٢٠٠٨م، ص٩٠.
[٧] ينظر: براون، جيليان - يول، جورج، تحليل الخطاب، مطبعة جامعة كامبريدج، كامبريدج، ١٩٨٣م، ص ٢٧.

–الدينامية بين النص والسياق: هناك علاقة تفاعلية؛ فالنص يُشكَّل عبر الخطاب، والخطاب يُظهِر نفسه عبر النصوص، والمواقف، هنا، يُقدّم تحليل الخطاب أدوات للتحرّي عن آلية إنتاج النصوص.

–وظيفة تحليل الخطاب: ذلك إنَّه عن طريق تحليل النصوص الخطابية، يُمكن فهم كيف تُمارَس السلطة؟ وكيف تُشكَّل الهوية؟ وكيف تُنتج المعارف المقبولة؟ وكيف تُحافظ المؤسسات على خطابها أو تُغيّره؟ فالنص هو المدخل إلى هذه الممارسات الخطابية.

تحليل الخطاب ومنهجية (فان دايك)

لم ينشأ **تحليل الخطاب** بصفته مجالاً معرفياً متعدِّد التخصصات فجأة؛ بل هو نتاج تاريخي تراكمي تأثر بعدد من العوامل الفكرية، واللغوية، والسياسية، والاجتماعية، ويُعَدُّ **زيليغ هاريس** Zellig Harris من أوائل من استخدم مصطلح discourse بمعنى موسَّع، وبدأ نشر مقالاته منذ عام ١٩٥٢م، في سياق يهتم بكيفية تنظيم الجمل، والنصوص ضمن إطار أوسع من الجملة، كذلك، ظهرت تيارات تُمكِّن من الربط بين اللغة والمجتمع؛ مثل **اللسانيات الاجتماعية، وعلم النفس الاجتماعي**، وتجارب تحليلية تهتم بالسياقات التاريخية والسياسية للغة.

في الستينيات، والسبعينيات، برزت أسماء مثل **ميشيل بيشو** Michel Pêcheux، التي أضافت بعداً أيديولوجياً، ومعرفياً، ونجد **ميشيل فوكو**Michel Foucault الذي أدَّى دوراً كبيراً في بلورة نظرة خطابية ترى أن **الخطاب** ممارسة معرفية تُشكَّل فيها السلطة، والمعرفة، والموضوعات الاجتماعية، ثمَّ توسَّع **تحليل الخطاب** بعد ذلك، وتفرَّع إلى مدارس متعددة؛ مثل التحليل الخطابي النقدي، تحليل الخطاب الاجتماعي، تحليل الخطاب السياسي، تحليل الخطاب التوثيقي، تحليل الخطاب في الإعلام، وغيرها، هذا التوسع مصحوب بزيادة الوعي بأهمية السياق التاريخي، والسياقات المؤسسية، والسياسية، وكذلك بالخصائص الأيديولوجية للنصوص[١].

تعددت مفاهيم **تحليل الخطاب** وفقاً لتعدد الاتجاهات والنظريات، وقد عرَّف **جورج مونان** تحليل الخطاب قائلاً: ((كل تقنية تسعى إلى التأسيس العام والشكلي للروابط الموجودة بين الوحدات اللغوية للخطاب المنطوق أو المكتوب في مستوى أعلى من مستوى الجملة))[٢]، هذا المفهوم فتح آفاقاً أرحب بالتوجه إلى مستوى النص، مما يقود إلى البحث عن عناصر أخرى غير لغوية تشارك في تحليل الخطاب، وقال **هاريس**: ((يعطي تحليل الخطاب مجموعة من المعلومات عن بنية النص أو نمط من النصوص وعن دور كل عنصر في هذه البنية فاللسانيات الوصفية لا تصف في الحقيقة إلا دور كل عنصر داخل الجملة التي تحتوي عليه، أما تحليل الخطاب_ إضافة إلى هذا_ فهو يعلمنا طريقة بناء الخطاب لإرضاء كل التخصصات تماماً مثلما تؤسس اللسانيات الاستدلالات الدقيقة الخاصة بالطرق التي تبنى بها الأنظمة ذات التخصصات المختلفة))[٣].

يرى **صلاح فضل** أنَّ علم **لغة النص**، غالباً، في الحقيقة، هو المقدرة التأويلية، ونظرية علم اللغة هي نظرية علم التأويل (التفسير)؛ وذلك باعتبار أنَّ علَّة إنشاء هذا العلم تقوم على الحقيقة القائلة: إنَّ الأمر يتعلق مع النص حول مستوى مستقل عما هو لغوي، وهذا ما نبنيه وفق المراحل الثلاثة في علم التأويل **الفهم، والتفسير**

[١] للتوسع ينظر: الخازمي، محمد الصادق، السياق التاريخي في تحليل الخطاب النقدي، مجلة علمه البيان، طرابلس، مج٦، ع١، ٢٠٢٣م، من ص٧٠ حتى ص ٩٠.
[٢] صحراوي، إبراهيم، تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية)، دار الآفاق، الجزائر، ط١، ١٩٩٩م، ص١٨.
[٣] خطابي، محمد، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الكويت، ط١، ١٩٩١م، ص٢٣.

والتطبيق[١]، ولا يقف **تحليل الخطاب** عند حدود وصف البنية اللغوية وحدها؛ إذ لابد من الأخذ بإستراتيجيات العمليات الأخرى المتصلة بالإنتاج، والتلقي، والفهم، يقول **صامويل باتلر**: ((يجب أن ندرس كل شيء في ذاته قدر الإمكان، وأن ندرسه كذلك من حيث علاقته، فإذا حاولنا النظر إليه في ذاته مطلقاً بقطع النظر عن علاقاته فإننا سنجد أنفسنا شيئاً فشيئاً قد استنفدناه فهماً ودراسة، وإذا حاولنا النظر إليه من خلال علاقاته فقط فسنكتشف أنه لا توجد زاوية في هذا الكون إلا وقد احتل مكانه فيها))[٢].

ويصبح **الخطاب**، من وجهة النظر التداولية، حدثاً تواصلياً لغوياً مرتبطاً بسياق مقامي محدد ((يتطلب وجود مرسل ومستقبل ويتضمن رسالة محددة بقصد التأثير في المتلقي))[٣]، وعليه يمكن عدُّ عملية التحليل المبنية على النظرة التداولية قراءة جامعة متأنية لأفكار وجهود مضنية بذلها العلماء للخروج برؤية تتفق ووظائف اللغة الإنسانية.

يُعَدّ **ثيون فان دايك** من أبرز الأسماء في حقل **تحليل الخطاب**؛ إذ طوّر مقاربة تُعرف بالمنظور السوسيومعرفي socio–cognitive approachتسعى إلى الربط بين اللغة بوصفها البنية النصية، والعقل بوصفه وسيطاً إدراكياً، والمجتمع بما يثيره من سياقات، وقوى، وينطلق من فرضية أنّ الخطاب ليس سلسلة من العلامات اللغوية وحسب؛ بل هو ممارسة اجتماعية تُنتَج عبر ما يصفه **بالنماذج الذهنية** mental models **والمخططات المعرفية** schemas، وهي تمثّلات يبنيها الأفراد، والجماعات في أذهانهم، وتنعكس في أنماط التواصل اليومي، وفي النصوص المؤسسية والإعلامية؛ فالإدراك عنده هو ((التفاعل بين الخطاب والمجتمع)).[٤]

ويقدّم **فان دايك** مفهوم **البنى الماكروية** macrostructures، التي تنظّم المعنى الكلّي للنصوص عبر عمليات **التعميم، والاختزال، والتركيز** على موضوعات محورية، وإستراتيجيات خطابية شائعة؛ مثل **الإبراز** emphasis ، حيث يتم تضخيم معلومات معيّنة، **والإقصاء** exclusion ، حيث تُهمل أو تُغيّب معطيات أخرى، **والتأطير** framing ، حيث يُقدَّم موضوع ما من زاوية محددة تُعزّز صورة إيجابية أو سلبية لمجموعة اجتماعية، وعليه، فإنّ منهجية **فان دايك** تقدّم إطاراً نظرياً متكاملاً يسمح بفهم التفاعل بين النص، والسياق، والمعرفة الاجتماعية، وتُتيح للباحث أدوات لتحليل البُنى اللغوية والمعرفية والاجتماعية التي يتشكّل منها الخطاب.

عمل **فان دايك** على تفكيك الخطاب في مقالاته العشر، عن طريق الإستراتيجيات المتنوعة التي اتكأت عليها هذه الخطابات، وهي تدور حول بؤرة مركزية هي أن الخطاب لا يُحلَّل بوصفه لفظاً مستقلاً بذاته فحسب؛ بل بوصفه تفاعلاً موقفياً، وممارسة اجتماعية، وأن السيطرة على الخطاب العام هي سيطرة على العقل العام، ويرتكز منهج **فان دايك** على فكرة أنَّ الخطاب ليس نقلاً للمعلومات؛ بل هو عملية تتأثر بالسياقات الثقافية، والسياسية، ويُعرف هذا النموذج بأنه "**النموذج المعرفي الاجتماعي**"، الذي يدمج بين اللسانيات، علم النفس الاجتماعي، وعلم الاجتماع، يُركز هذا النموذج على قدرة المعرفة الاجتماعية على إنتاج الخطاب، وتفسيره، وفق النمط الذي يعرِّفه **دايك** بأنَّه ((تمثيلات ذاتية للمتكلم والمشاركين الآخرين في الحدث، ولظروف الحدث زمانه ومكانه، وللخصائص الاجتماعية، والعلاقات بين المتكلمين، والأهداف والأغراض العامة)) [٥]، وتقترح هذه المنهجية مستويات، تشمل: المستوى النصي؛ الذي تُحلَّلُ فيه البنى اللغوية للنص، والمستوى المعرفي؛ الذي تُدرَسُ فيه النماذج المعرفية التي يستخدمها الأفراد في إنتاج الخطاب،

---

[١] ينظر: فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع ١٦٤، ١٩٩٢م، ص ٤٣.

[٢] أبو زيد، نواري سعودي، في تداولية الخطاب الأدبي- المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٩.

[٣] صحراوي، مسعود، التداولية عند علماء العرب- دراسة تداولية للأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ص٦٧.

[٤] فان دايك، ثيون، الخطاب والسلطة، تر: غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص٢٣.

[٥] *فان دايك، ثيون، من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي- سيرة أكاديمية وجيزة، ، تر: أحمد صديق الواحي، مجلة فصول مصر، ع ٧٧، ٢٠١٠م، ص ٢٦.*

وتفسيره، والمستوى الاجتماعي؛ الذي تُحلَّل فيه السياقات الاجتماعية، والسياسية التي يُنتج فيها الخطاب، وكيفية تأثير هذه السياقات على محتوى الخطاب، وشكله [١]. وعليه، تقدّم الخطوات العملية لتوظيف منهجية **فان دايك** في التحليل التطبيقي للباحث إطاراً إجرائياً متماسكاً يجعل من الممكن الانتقال من التحليل اللغوي التفصيلي إلى مستوى أوسع من التفسير الاجتماعي والمعرفي.

المستوى النصي Textual Level بعض الآليات النصية في مرثية ابن اللُّبانة الداني

يُعنى المستوى النصي، في منهجية **فان دايك**، بدراسة البنية اللغوية للنصوص، وطرق بناء المعنى عبر اختيار الكلمات، والتراكيب النحوية، والأساليب البلاغية، والتماسك الداخلي للنص، ويهدف هذا المستوى إلى فهم كيف يستخدم الخطاب الإستراتيجيات اللغوية بهدف إنتاج المعنى، وتأطيره ، وتوظيف التضخيم أو الإغفال لتحقيق أهداف معرفية واجتماعية معينة[٢].

يستخدم **ابن اللبانة** التكرار الرمزي symbolic repetition بهدف ربط الخراب الطبيعي بالخراب الاجتماعي والسياسي، فهو بمنزلة استراتيجية **تضخيم** emphasis strateg ؛ إذ يتم إبراز خسارة الدولة عبر تكرار الصور المأساوية للجبال والأرض، واستخدام السماء والمطر والروابي بصفتها رموزاً تعكس الإطار الطبيعي لتأطير الحدثnatural framing ، حيث يُقدّم الحدث من منظور كوني شامل، وهذا في قوله:[٣]

تبكي السماء بمزنٍ رائحٍ غادي على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها وكانت الأرض منهم ذات أوتاد

ويلجأ **ابن اللبانة** إلى **التوازي** parallelism في بنية الأبيات، ما يعزز الإيقاع الموسيقي للنص، ويوفر بنية معرفية للمتلقي، ويوجد أمثلة متعددة على التوازي نذكر منها[٤]:

تبدَّلوا السَجنَ بعد القصر منزلةٌ وأحدقوا بلصوص عوض أجناد

هنا، يظهر **التوازي** بين الشطرين الأول والثاني؛ فالبيت وحدة متكاملةtextual macrostructure ، يتم فيها الربط بين الفقد الفردي والفقد العام، وبين القوة والضعف، وهذا الاستخدام للتوازي يعزز الترابط الداخلي للنص internal cohesion، ويسهم في بناء نماذج معرفية متماسكة لدى القارئ.

كذلك، فإن القصيدة غنية بالصور الطبيعية التي تعمل مثل أدوات لتأطير الحدث، ومن تلك الصور نذكر قوله:[٥]

والرابيات عليها اليانعات ذوت أنوارها فغدت في خَفضِ أوهاد

وقوله:[٦]

غابت عن الفلك الأرضي أنجمهم فليس للسعد فيهم نور إسعاد

---

[١] *ينظر: فان دايك، ثيون، الدراسات النقدية للخطاب: مقاربة معرفية اجتماعية، ضمن كتاب مناهج التحليل النقدي للخطاب، روث، فوداك- جريج ماير، مراجعة عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، مصر، ص ١٥٠ حتى ١٨٩.*
[٢] *هذه هي إستراتيجيات الخطاب وفق فان دايك، وآلياته.*
[٣] *ابن اللبانة، الديوان، ص ٥٦.*
[٤] *ابن اللبانة، الديوان، ص ٦٠.*
[٥] *ابن اللبانة، الديوان*، ص ٥٦.
[٦] ابن اللبانة، الديوان، ص ٥٨.

وهنا يفيد الشاعر من الأضداد antithesis والتباين بين الحياة والموت، والنور والظلام، ليجعل القارئ يشعر بالمأساة الاجتماعية والتاريخية، وهذه الصور تعمل على تضخيم الانطباع emphasis ، وإبراز أثر الخسارة بشكل بصري ومعرفي[١].

وأجاد **ابن اللُّبانة** في آليتين هما: **تضخيم** معطيات معينة، **وإغفال** أخرى emphasis and exclusion بهدف إعادة إنتاج سرد مأساوي، يفيد في **التأطير النصي.** يظهر ذلك جليّاً عندما يقدم الحدث من زاوية معينة تعكس موقفه، ومعرفته الاجتماعية فقط، وتنتصر للسياق المعتمد في نصِّه، يقول[٢]:

وأنت يا فارس الخيل التي جعلت — تختال في عدد منهم وأعدادِ
ألق السلاح وخلّ المشرفي فقد — أصبحت في لهوات الضيغم العادي
لا عطر بعد عروس في حديثهم — قد أقفر الحي من هنْدٍ ومن عادِ

هنا، نجد تضخيم عنصر الخسارة والانكسار، وإغفال التفاصيل الدقيقة للأسباب، وولجانب الآخر من **العبابدة** ما يجعل التركيز على النتيجة المأساوية، ويتوافق هذا مع إستراتيجية **فان دايك** في توجيه الانتباه إلى عناصر محددة من الحدث لتعزيز التأثير المعرفي والاجتماعي للنص[٣]، باستخدام التأطير السلبيnegative framing فيضع الشاعر السلطة في سياق فقدان الاستقرار والانكسار، ويبرز هشاشة السلطة بعد سقوطها، في مسار من المتضادات الصوريَّة التي تنتج الصورة الجديدة بناء على نتائج السياق؛ فإلقاء السلاح وإبقاء المشرفي مرتبطان بالحال الجديدة التي قضت بأن نكون في لهوات الضيغم العادي، وهذا يعكس آليَّة إنتاج معنى السلطة والفقد عبر النص بشكل متسق وموحد، ونحن لا نغفل ارتباط مأساة **العبابدة** بمأساته الشخصية، ولذلك يقول[٤]:

لقاكمُ الله خيراً إنَّكم نـَفَرٌ — لم تعرفوا غير فعل الخير من عادِ
إن كان بعدكم في العيش من أرب — فإن في غصصٍ عيشي وأنكادِ

يمكن تلخيص تحليل المستوى النصي في النقاط الآتية:

- التماسك الداخلي: عبر التكرار، التوازي، الترابط بين الصور الطبيعية والرموز.
- إستراتيجيات التأطير: عبر تصوير المأساة، والفقد من زاوية معينة لتعزيز الإدراك الاجتماعي.
- التضخيم والإغفال: عبر التركيز على خسارة الدولة والفقد، وإغفال التفاصيل غير المؤثرة على التأثير البلاغي والمعرفي.

المستوى المعرفي Cognitive Level الهياكل المعرفية في مرثية ابن اللُّبانة الداني

[١] يرى دايك أنَّ البنى الاجتماعية تحتاج إلى أداة إدراكية وسيطة قادرة على تمثيل العلاقة بالموقف الاجتماعي، وهذه البنى الصغرى التي تتجاوزها البنى الكبرى. ثمة قواعد تربط بين بنية صغرى وأول مستوى من بنية كبرى. ينظر: فان دايك، ثيون، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن الجيري، القاهرة: دار القاهرة للكتب، ط١، ٢٠٠١م، ص ٧٧.

[٢] ابن اللبانة، الديوان، ص٥٧-٥٨.

[٣] تتلاقح عناصر فان دايك من المجتمع والخطاب في عنصر التمثيل الذهني (الإدراك) للأفراد للغة داخل المجتمع. ينظر: بكار، سعيد، التحليل النقدي للخطاب- مفهومه ومقارباته، مجلة الخطاب، الجزائر، مج١٦، ع٢، ٢٠٢١م، ص ٤٦٨.

[٤] ابن اللبانة، الديوان، ص ٦٢.

يُعدُّ المستوى المعرفي في **تحليل الخطاب**، وفق منظور **ثيون فان دايك**، حجر الزاوية لفهم كيفية تكوّن **النماذج الذهنية، والمخططات المعرفية** لدى المتحدث[١]، وكيفية عكس هذه النماذج الإدراكات الاجتماعية، والتاريخية، والسياسية، وفي دراسة نصوص الشعر العربي التاريخي، مثل قصيدة **ابن اللبانة الداني** في رثاء دولة **بني عباد**.

يظهر، بوضوح، الدور المعرفي للنص في تشكيل تصورات القارئ، والمستمع حول الأحداث التاريخية، والفقد الجماعي، والقيم الاجتماعية، والثقافية، بما يعكس العلاقة الوثيقة بين النص، العقل، والمجتمع، وهي الرؤية الأساسة لمنهجية **فان دايك** الاجتماعية المعرفية، وتتمثل أبرز الهياكل المعرفية في النص في الآتي:

– تصوير المأساة الجماعية لسقوط دولة بني عباد، ومن ذلك قوله:[٢]

تبكي السَّماءُ بمزنٍ رائحٍ غادِ على البهاليل من أبناء عبَّادِ
على الجبال التي هدت قواعدها وكانت الأرض منهم ذات أوتادِ

فيستحضر الشاعر نموذجاً معرفياً يرتكز على المأساة الشاملة التي أبكت السّماء؛ فيربط بين الدمار المادي والانهيار الرمزي لأركان الدولة. هنا، يمكن عدُّ "الجبال"، و"الأوتاد "مخططات معرفية تمثل الثبات والاستقرار، وعندما تُهدّ، ينعكس ذلك على تصور الجماعة لأمنها واستقرارها، وهو ما يتيح للقارئ بناء صورة معرفية واضحة عن حجم الكارثة، وهذه الصورة الذهنية ليست وصفاً فحسب، بل تمثّل رؤية معرفية cognitive representation للحدث التاريخي، تعكس إدراك الشاعر العلاقات بين الزمان، والمكان، والجماعة البشرية.

–تمثيلات الفقد الفردي والجماعي:

لا يقتصر رثاء **ابن اللبانة**، في المستوى المعرفي، على سقوط الدولة فقط؛ بل يتجاوز ذلك إلى الفقد الفردي داخل الجماعة، وهو ما يوضح كيفية تشابك الهياكل الذهنية للشاعر مع تصوراته الاجتماعية، ومن ذلك قوله[٣]:

عِرّيسةٌ دخلتها النائبات على أســاود لهمُ فيـهـا وآسادِ
وكعبة كانت الآمال تعمرها فاليوم لا عاكف فيها ولا بادِ

وقوله:[٤]

كم من درارى سعدٍ قد هوت ووهت هناك من درِرِ للمجد أفرادِ
نورٌ ونور فهذا بـعـد نـعمتـه ذوى وذا خبا من بعد إيقادِ

فهنا، تظهر درارى سعد، ودرر المجد بوصفها رموزاً للأفراد ذوي القيمة والفضيلة، الذين يمثلون نماذج معرفية للقيم البشرية المثالية، ذوت وخبت مثل النور، وهذا الفقد الفردي ضمن السياق الجماعي يعكس التفاعل بين الذات والجماعةself–in–group representation فيعكس الشاعر إدراكه أن كل خسارة فردية تُسهم في تشكيل مأساة أكبر على مستوى الدولة. الخطاب ليس كلاماً وحسب؛ بل عملية معرفية اجتماعية تعكس تفاعلات معقدة بين النص، والقيم، والسياق[٥].

---

[١] ينظر: شومان، محمد، تحليل الخطاب الإعلامي: أطر نظرية ونماذج تطبيقية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م، ص٨٢.
[٢] ابن اللبانة الداني، أبو بكر محمد بن عيسى، ديوان ابن اللبانة الداني- مجموع شعره، جمع وتحقيق: محمد مجيد السعيد، دار الراية للنشر والتوزيع، عمَّان- الأردن، ط٢، ٢٠٠٨م، ص ٥٦.
[٣] ابن اللبانة، الديوان، ص ٥٦.
[٤] ابن اللبانة، الديوان، ص ٥٧.
[٥] النماذج الذهنية هي التجارب الشخصية المعالجة في الذاكرة العاملة- العرضية التي تمتلك بنية تراتبية فيها الزمان والمكان والمشاركون بهوياتهم وأدوارهم وعلاقاتهم، والأفعال والأحداث والأهداف. ينظر: فان دايك، الخطاب والسلطة، ص ٣٣٤.

- إدراك القيم الاجتماعية والأيديولوجية:

تتجلى الهياكل المعرفية –أيضاً– في تمثيلات القيم الاجتماعية والسياسية، حيث يبرز الشاعر أهمية الشجاعة، والعزّة، والولاء، والسلطة، والكرم، كما يتضح في قوله[١]:

يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ في ضم رحلك واجمع فضلة الزادِ

وقوله:[٢]

كانوا ملوكاً ملوك الأرض فانصرفوا وما لهم حومة فيها ولا نادِ

فيبيّن هذا البيت تصور الشاعر قيادة الدولة، وأثرها في المجتمع، موضحاً أن السلطة مرتبطة بالمسؤولية، والوجود الاجتماعي؛ فهي تمثل نموذجاً معرفياً يجمع بين الشخصيات التاريخية، والسلطة، والقيم الاجتماعية، وإنَّ إدراك الشاعر هذه العلاقات يُمكّن القارئ من استنتاج الهياكل الاجتماعية، والرموز الثقافية المرتبطة بالحدث التاريخي[٣]، مما يعكس الترابط بين النص والمجتمع، يقول الشاعر[٤]:

وبدَّلوا غيرنا قوماً فنحن نرى تركيب أرواحنا في غير أجسادِ

- تمثيلات الزمن والتاريخ:

يربط الشاعر بين أحداث الماضي، والحاضر؛ عبر استخدامه تمثيلات زمنية معرفية temporal cognitive representations، ومن ذلك قوله:[٥]

إنَّا الى الله في أيامهم فلقد كانت لنا مثل أعراس وأعيادِ

وقوله[٦]:

لما دنا الوقت لم تخلف له عدةٌ وكل شيء لميقات وميعاد

هنا، يشير الميعاد، والوقت إلى **مخططات معرفية** تنظم فهم القارئ للتاريخ، فيتم إدراك الأحداث بوصفها ضمن دورة زمنية منظمة، وهذا يعكس إدراك الشاعر لتوازن القوى والقدر التاريخي، وهو جانب مهم في التحليل المعرفي؛ إذ يوضح كيف تُبنى النماذج المعرفية للتاريخ في أذهان المتلقين[٧].

- تمثيلات القوة والهيمنة، وتبدُّل الحال:

تظهر الهياكل المعرفية –أيضاً– في تصوير القوة، والصراع الاجتماعي والسياسي، ومن ذلك قوله:[٨]

أضحت مكسرة أرعاط أسهمه مواسهم الدهر فيهم ذات إقصاد
ذلوا وكانت لهم في العزّ مرتبةٌ تحط مرتبتي عادٍ وشداد
تبدلوا السَجن بعد القصر منزلةٌ وأحدقوا بلصوص عوض أجناد

وهذا يعكس تحولات السلطة والمكانة، وهو نموذج معرفي موضوعي يوضح علاقات القوة والهيمنة power relations schemas، حيث يمكن للقارئ أن يفهم كيف تؤثر التغيرات السياسية على المجتمع والجماعة، وقد وصف

---

[١] ابن اللبانة، االديوان، ص٥٧.
[٢] ابن اللبانة، االديوان، ص ٦٠.
[٣] يقصد، وفق رأي فان دايك، التمثيل الدلالي للحدث. ينظر: فان دايك، من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي، ص٢٥.
[٤] ابن اللبانة، الديوان، ص٥٨.
[٥] ابن اللبانة، الديوان، ص٥٩.
[٦] ابن اللبانة، االديوان، ص ٥٧.
[٧] وفقاً لمنظور فان دايك، فإن اللغة هنا ممارسة اجتماعية تكشف علاقات القوة والهيمنة، وينبغي النظر، في اكتشاف المواقف إلى الصلة بين بنية بنية الخطاب، وهيكل المجتمع. ينظر: وهابي، نزيهة، أسس تطبيقات التحليل النقدي للخطاب في دراسات الخطاب الإعلامي، المغرب: مجلة جسور المعرفة،مج٦، ع٤، ص٧٠.
[٨] ابن اللبانة، الديوان، ص ٥٩-٦٠.

الشاعر هذه التغيرات عبر وجهي التقابل الصوري بين الماضي والحاضر، وهذه النماذج تساعد في إدراك الآليات الاجتماعية والهيكلية التي تشكل الجانب الموضوعي للتجربة التاريخية[1].

يمكن تلخيص هياكل المستوى المعرفي في القصيدة بالنقاط الآتية:

-وجود هياكل معرفية متعددة المستويات، تشمل المأساة الجماعية، والفقد الفردي، والقيم الاجتماعية.

-استخدام المخططات الذهنية لتصوير العلاقات بين الأشخاص، المكان، الزمان، والقيم، وهو ما يسمح بفهم أعمق للنص والسياق الاجتماعي.

-إدراك الشاعر الأيديولوجيا الاجتماعية، والتاريخية، بما يتيح بناء نموذج معرفي للأحداث والشخصيات.

المستوى الاجتماعي السياقي Social-Contextual Level

يُركز المستوى الاجتماعي، في تحليل الخطاب وفق **ثيون فان دايك**، على دراسة كيفية تأثير السياقات التاريخية، والثقافية، والسياسية، على إنتاج النصوص وتفسيرها، وكيف يعكس الخطاب العلاقات الاجتماعية والهيمنة ، ويُعيد إنتاج القيم والمعايير الاجتماعية[2]، وتتجلى هذه العلاقات بوضوح في قصيدة **ابن اللبانة الداني** في رثاء دولة **العبابدة**، عبر تصوير سقوط الدولة، وفقدان السلطة، وانهيار المجد، وانكسار الهُويَّة الاجتماعية والثقافية.

تبدأ أهمية المستوى الاجتماعي بالسياق التاريخي الذي تُكتب فيه القصيدة، حيث سقوط دولة **بني عباد** على يد المرابطين، ليكون النص توثيقاً معرفياً، واحتفاظاً بالذاكرة الجماعية، يقول الشاعر[3]:

كانوا الملوكَ ملوك الأرض فانصرفوا وما لهم حومة فيها ولا ناد

حموا حريمهم حتى إذا غُلبوا سيقوا على نسقٍ في حبل مقتاد

تبدلوا السَجن بعد القصر منزلةٌ وأحدقوا بلصوص عوض أجناد

ننتبه، هنا، إلى دور النص في إعادة إنتاج الوعي التاريخي والاجتماعي، وإعادة تشكيل الإدراك الجماعي لأحداث التاريخ، وهذه الإستراتيجية تُمثل الربط بين المعرفة، والسياق الاجتماعي socio cognitive knowledge، حيث يتيح الخطاب للمتلقي تصور الأحداث بشكل متماسك ومؤثر[4].

وتؤدّي السلطة دوراً مركزياً في النص، سواء عبر تمثيل الدولة، أم الانكسار الذي لحق **العبابدة**، فيصور الشاعر الهياكل الاجتماعية والسلطويةsocial hierarchie ، فيبرز فقدان القوة والتأثير بعد سقوط الدولة، وهذه التمثيلات تعمل على كشف علاقات الخطاب والمجتمع ؛ إذ يُظهر النص كيفية تحول السلطة إلى فراغ اجتماعي، وعمليَّة إعادة إنتاج المعايير الاجتماعية ضمن الخطاب، بما يشمل تقييم الحاكمين، وارتباطهم بالقيم الاجتماعية.

---

[1] تؤسس البنيات الموضوعية الكلية على قدرتنا على تلخيص كل أنواع المعلومات في مقترحات كلية تعبر عن فكرة النص أو موضوعه كله. ينظر: شومان، محمد، تحليل الخطاب الإعلامي: أطر نظرية ونماذج تطبيقية، ص ٨٠.

[2] تؤسس البنيات الموضوعية الكلية على قدرتنا على تلخيص كل أنواع المعلومات في مقترحات كلية تعبر عن فكرة النص أو موضوعه كله. ينظر: شومان، محمد، تحليل الخطاب الإعلامي: أطر نظرية ونماذج تطبيقية، ص ٨٠.

[3] ابن اللبانة، الديوان، ص ٥٩-٦٠.

[4] يرى فان دايك أنَّ استخدام اللغة والخطاب يمكن أن يصل تأثيره حتى عملية سن القوانين. ينظر: الجعفر، سعيد ياسين، التحليل النقدي للخطاب: خطاب إياد علاوي في حزيران٢٠١١م نموذجاً، ضمن المناهج اللسانية و النقدية بين التنظير والإجراء، ص ١٣٥.

تعكس القصيدة –أيضاً– الهُويَّة الجمعيّة لبني عباد، وما كان لهم من حضور اجتماعي، وسياسي، وهنا، يظهر إدراك الشاعر الهشاشة الإنسانية، والفقد الجماعي، وهو ما يعزز الوعي بالهُويَّة المشتركةshared identity ، ويضع القارئ في موقع المتلقي لفقد مجتمعي ليس محصوراً في أشخاص محددين فقط؛ بل يمتد إلى الجماعة، وقيمها، عبر إبراز الفضائل والقيم التي فقدها المجتمع بعد سقوط الدولة؛ مثل الشجاعة، والعزّة، والوفاء، والعدل، والأهم لدى الشاعر (الكرم)، يقول[١]:

يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ ... في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

ويا مؤمل واديهم ليسكنه ... خفّ الفطين وجفَّ الزرع بالوادي

فهذه الأبيات تعكس الأيديولوجيا الاجتماعية التي تحافظ على القيم، والمثل العليا، حتى في سياق الخراب. يُظهر الخطاب هنا آلية تمثيل القيم والممارسات الاجتماعية، ويعطي المتلقي إطاراً معرفياً لتفسير السلوك الفردي والجماعي، خصوصاً في زمن الانكسارات والنزاعات، لنقل: إبراز الأثر الجتماعي، والنفسي، والقيمي على الفرد، وانفعاله الشخصي معه، فبعد سرد القصيدة النزاعات التي أدَّت إلى النتيجة الحاصلة؛ **السياق السياسي** political context، اتجهت إلى تأطير الخسارة، وحصرها في مسار محدَّد، ممَّا يتيح للقارئ فهم طبيعة الصراع والهيمنة آنذاك، فالخطاب هنا ليس نقلاً تنميطيَّاً للمعلومات؛ بل ممارسة اجتماعية تعيد إنتاج السلطة والقيم[٢]discourse as social practice ، ويُبرز هذا التأطير الحتمية التاريخية والقدرية، مما يعزز الفهم الجمعي لسقوط الدولة والفقد، ويُدخل المتلقي في تصور معرفي واجتماعي متكامل عن الأحداث، يقول **ابن اللبانة**[٣]:

هي المقادير لا تبقي على أحد ... وكل ذي نفس فيها لآماد

وأسوة لهم في غيرهم حسنت ... فما شماتة أعداء وحسّاد

إن يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا ... وقد خلت قبل حمص أرض بغداد

هم الشواهق فيها كهف معتصم ... مثل الأباطح فيها خصب مرتاد

تباً لدنيا أذاقتهم حوادثها ... برح العذاب وما دانوا بإلحاد

يمكن تلخيص الأسس التي بنى عليها الشاعر نصَّه في هذا المستوى بالآتي:

–السياق التاريخي والسياسي: يُعيد النص إنتاج أحداث سقوط الدولة، ويبرز تأثير النزاعات على المجتمع.

–العلاقات الاجتماعية: يعكس الخطاب التحولات في القيم الاجتماعية، والهيمنة، وفهم الجماعة لها.

–الهُويَّة الجمعية: يعزز النص الانتماء الاجتماعي، ويعيد بناء الوعي الجماعي، وإنتاج القيم الاجتماعية؛ مثل الشجاعة، والعدل، والوفاء، والكرم، بعد الفقد.

–التأطير الاجتماعي: إبراز الخسارة، الهزيمة، والمأساة بطريقة توجه فهم القارئ اجتماعياً ومعرفياً.

[١] ابن اللبانة، الديوان، ص ٥٧.

[٢] ينبغي النظر في اكتشاف المواقف إلى الصلة بين بنية الخطاب، وهيكل المجتمع ينظر: وهابي، نزيهة، أسس تطبيقات التحليل النقدي للخطاب في دراسات الخطاب الإعلامي، مجلة جسور المعرفة، المغرب،مج٦، ع٤، ٢٠٢٠م، ص٧٠.

[٣] ابن اللبانة، الديوان، ص ٥٨-٥٩.

خاتمة

تكشف قراءة قصيدة **ابن اللبانة الداني** في رثاء **بني عبَّاد**، على ضوء منهجية **ثيون فان دايك** عن ثراء كبير في مستويات الخطاب الثلاثة: النصي، والمعرفي، والاجتماعي؛ فقد تمكّن الشاعر من صياغة خطاب شعري يعكس مأساة سقوط دولة **بني عباد** على المستويات كلها، موظفاً الصور الطبيعية، ورموز السلطة، وتمثيلات الفقد الجماعي لخلق نموذج معرفي متكامل عند المتلقي، وكشف التحليل المنهجي عن جملة من النتائج، هي:

-توظيف البنية النصية في التأثير المعرفي: استخدم الشاعر التراكيب البلاغية، والصور الرمزية، والاستعارات، والتوازي البنائي لإظهار الفقد والانكسار، بما يعكس البنية النصية للنص وفق التحليل السوسيو-معرفي، ونلمس نماذج معرفية مزدوجة تربط بين تجربة الشاعر الذاتية، والأحداث التاريخية، موفرة إطاراً لفهم التجربة الإنسانية في سياقها الاجتماعي والسياسي.

-إستراتيجيات التأطير والتضخيم والإغفال: استخدم النص هذه الإستراتيجيات بهدف توجيه إدراك القارئ نحو خسارة الدولة والانكسار الاجتماعي، وتوضيح العلاقات بين الأحداث التاريخية، والقيم الاجتماعية.

-وظائف الخطاب الاجتماعي والسياسي: أظهرت الدراسة أنَّ القصيدة لا تعكس الحزن الشخصي فحسب؛ بل تصور -أيضاً- الهزيمة السياسية، وانهيار السلطة، وتغير العلاقات الاجتماعية، وقيمها، مما يجعل الخطاب أداة لفهم القوى الاجتماعية والسياسية.

-الترابط بين النص والسياق التاريخي: النص مرتبط بسياق سقوط الدولة، ويستثمر الأحداث التاريخية لخلق وعي جمعي، وإعادة إنتاج القيم، والمعايير الاجتماعية والسياسية.

يقدم **تحليل الخطاب**، وفق المنهجية السوسيو- معرفية، إمكانات لفهم البنية الداخلية للنصوص، والديناميات المعرفية، والسياقات الاجتماعية والتاريخية، بما يعكس العلاقة الجدلية بين الفرد والمجتمع، والتجربة الشخصية والأحداث العامة، والنصوص والمعرفة، ويفيد في تجسيد رؤية متعددة الأبعاد للخطاب الشعري والتاريخي.

المصادر والمراجع

١- ابن اللُّبانة الداني، أبو بكر محمد بن عيسى، *ديوان ابن اللبانة الداني- مجموع شعره*، جمع وتحقيق: محمد مجيد السعيد، دار الراية للنشر والتوزيع، عمَّان- الأردن، ط٢، ٢٠٠٨م.

٢- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، *لسان العرب*، دار المعارف، القاهرة ، ج١٤.

٣- أبو زيد، نواري سعودي، *في تداولية الخطاب الأدبي- المبادئ والإجراء*، بيت الحكمة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.

٤- أبو فضل، صلاح، *بلاغة الخطاب وعلم النص*، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع ١٦٤، ١٩٩٢م.

٥- براون، جيليان - يول، جورج، *تحليل الخطاب*، مطبعة جامعة كامبريدج، كامبريدج، ١٩٨٣م.

٦- بكار، سعيد، *التحليل النقدي للخطاب- مفهومه ومقارباته*، الجزائر: مجلة الخطاب، مج١٦، ع٢، ٢٠٢١م.

٧- الحميري، عبد الواسع، *الخطاب والنص (المفهوم والعلاقة)*، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨م.

٨- الخازمي، محمد الصادق، *السياق التاريخي في تحليل الخطاب النقدي*، مجلة علمه البيان، طرابلس، مج٦، ع١، ٢٠٢٣م.

٩- خطابي، محمد، *لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب*، المركز الثقافي العربي، الكويت، ط١، ١٩٩١م.

١٠- دي بوجراند، روبرت، *النص والخطاب والإجراء*، تر: تمام حسان، عالم القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٨م.

١١- روبو، أوليفي، *لغة التربية – تحليل الخطاب البيداغوجي*، تر: عمر أوكان، دار أفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، ٢٠٠٢م.

١٢- شومان، محمد، *تحليل الخطاب الإعلامي: أطر نظرية ونماذج تطبيقية*، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

١٣- صحراوي، إبراهيم، *تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية)*، دار الآفاق، الجزائر، ط١، ١٩٩٩م.

١٤- صحراوي، مسعود، *التداولية عند علماء العرب- دراسة تداولية للأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي*، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

١٥- العبد، محمد، *النص والخطاب والاتصال*، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م .

١٦- عصفور، جابر ، *خطاب الخطاب*، دار مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، دبي، ١٩٩٩م.

١٧- فان دايك، ثيون، *الخطاب والسلطة*، تر: غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.

١٨- فان دايك، ثيون، *الدراسات النقدية للخطاب: مقاربة معرفية اجتماعية*، ضمن كتاب مناهج التحليل النقدي للخطاب، روث، فوداك- جريج ماير، مراجع وتقديم عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، مصر، د.ت.

١٩- فان دايك، ثيون، *علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات*، تر: سعيد حسن الجيري، القاهرة: دار القاهرة للكتب، ط١، ٢٠٠١م.

٢٠- فان دايك، ثيون، *من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي- سيرة أكاديمية وجيزة*، ، تر: أحمد صديق الواحي، مجلة فصول مصر، ع ٧٧، ٢٠١٠م.

٢١- المتوكل، أحمد، *قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية -بنية الخطاب من الجملة إلى النص*، الرباط، ٢٠٠١م.

٢٢- وهابي، نزيهة، *أسس تطبيقات التحليل النقدي للخطاب في دراسات الخطاب الإعلامي*، مجلة جسور المعرفة، المغرب، مج٦، ع٤، ٢٠٢٠م.

٢٣- يقطين، سعيد، *تحليل الخطاب الروائي*، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م.